

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ وَظَهَرَ وَبَاطِنَهُ﴾ 20 شعبان 1442 هـ

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: إِنَّ الْأَمْنَ فِي الْبُلْدَانِ مِنْ أَعْظَمِ آلَاءِ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ، قَالَ اللَّهُ ﷻ: ﴿أَوْلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ ﴿٦٧﴾﴾، أَخْرَجَ التِّرْمِذِيُّ، وَابْنُ مَاجَهَ، وَحَسَنُهُ الْعَلَّامَةُ الْأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُمُ اللَّهُ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مِحْصَنِ الْأَنْصَارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ مُعَافَى فِي جَسَدِهِ، آمِنًا فِي سِرِّهِ [أَي: فِي نَفْسِهِ، وَقِيلَ: السَّرْبُ: الْجَمَاعَةُ، فَالْمَعْنَى: فِي أَهْلِهِ وَعِيَالِهِ]، عِنْدَهُ قُوَّةٌ يَوْمَهُ، فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا».

عِبَادَ اللَّهِ: إِنَّ حَاجَةَ الْإِنْسَانِ لِلْأَمَنِ وَالْأَمَانِ أَشَدُّ مِنْ حَاجَتِهِ إِلَى الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ وَالْعَافِيَةِ لِلْأَبْدَانِ، وَقَدْ جَاءَ الْأَمْنُ فِي الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ مَقْرُونًا بِالطَّعَامِ الَّذِي لَا حَيَاةَ لِلْإِنْسَانِ بِدُونِهِ؟! وَقَدْ ائْتَنَّا اللَّهُ بِهِ عَلَى عِبَادِهِ، وَأَمْرَهُمْ أَنْ يَشْكُرُوا هَذِهِ النِّعَمَ بِإِخْلَاصِ الْعِبَادَةِ لَهُ، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَعَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ ﴿٤١﴾﴾، وَقَالَ تَعَالَى فِي الْوَعْدِ بِحُسْنِ الْجَزَاءِ وَعَظِيمِ الْمَثُوبَةِ لِلْمُؤْمِنِينَ: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾.

إِنَّ زَعَزَعَةَ الْأَمَنِ فِي الْبُلْدَانِ تُؤَدِّي إِلَى انْقِطَاعِ السُّبُلِ، وَتَفَرُّقِ الْكَلِمَةِ؛ فَيَحِلُّ الْفَقْرُ، وَتَنْتَشِرَ الْأَسْقَامُ، وَتُسَلَبَ الْأَمْوَالُ وَالْمُمْتَلَكَاتُ، وَتُهْتَكَ الْأَعْرَاضُ، وَتُسْفَكَ الدِّمَاءُ، فَيَعْمُ الْجَهْلُ وَالْخَوْفُ، وَيَنْشَغِلَ النَّاسُ عَنْ دِينِهِمْ، وَيُظْهَرُ أَهْلُ الرِّيبِ وَالشُّكِّ، وَأَرْبَابُ الْبَغْيِ وَالْإِفْسَادِ.

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: إِنَّ تَحْقِيقَ الْأَمَنِ فِي الْبُلْدَانِ مِنْ أَهَمِّ أَسْبَابِ التَّنْمِيَةِ، فَقَدْ رَبَطَ اللَّهُ ﷻ بَيْنَ الْأَمَنِ وَالرِّزْقِ فَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿أَوْلَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا يُجِبِّي إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِزْقًا مِّنْ لَّدُنَّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾﴾، وَقَالَ جَلَّ وَعَلَا: ﴿لَا يَلْفِ قُرَيْشٍ ﴿١﴾﴾ إِيْلَهُمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ

وَالصَّيْفِ ﴿٢﴾ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ﴿٣﴾ الَّتِي أَطْعَمَهُمْ مِّنْ جُوعٍ وَعَامَنَهُمْ مِّنْ خَوْفٍ ﴿٤﴾، وَقَالَ ﷺ: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِّنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾.

عِبَادَ اللَّهِ: إِنَّ تَحْقِيقَ التَّنْمِيَةِ الشَّامِلَةِ يَتَطَلَّبُ عَمَلًا نَافِعًا جَادًّا فِي جَمِيعِ مَجَالَاتِ الْحَيَاةِ:

زِرَاعَةٌ: كَمَا فِي الصَّحِيحَيْنِ عَنِ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَغْرِسُ غَرْسًا، أَوْ يَزْرَعُ زَرْعًا، فَيَأْكُلُ مِنْهُ طَيْرٌ، أَوْ إِنْسَانٌ، أَوْ بِهِيْمَةٌ، إِلَّا كَانَ لَهُ بِهِ صَدَقَةٌ».

وَصِنَاعَةٌ: كَمَا قَالَ اللَّهُ ﷻ عَنْ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِيُحْصِنَكُمْ مِّنْ بَأْسِكُمْ﴾ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ ﴿٨١﴾.

وَتِجَارَةٌ: كَمَا أَخْرَجَ أَحْمَدُ وَالطَّبْرَانِيُّ وَالْحَاكِمُ، وَصَحَّحَهُ الْعَلَّامَةُ الْأَلْبَانِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنْ رَافِعِ بْنِ خَدِيجٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيُّ الْكَسْبِ أَطْيَبُ؟ قَالَ: «عَمَلُ الرَّجُلِ بِيَدِهِ، وَكُلُّ بَيْعٍ مَبْرُورٍ».

عِبَادَ اللَّهِ: إِنَّ الشَّبَابَ عِمَادُ الْأُمَّةِ، وَحِصْنُهَا الْمَنِيْعُ، وَدِرْعُهَا الْوَاقِي بِإِذْنِ اللَّهِ، فَهُمْ مَنْ يَنْهَضُونَ بِالْوَطَنِ، وَيُدَافِعُونَ عَنْهُ ضِدَّ الْمُعْتَدِينَ؛ وَلِذَا اهْتَمَّ النَّبِيُّ ﷺ بِاغْتِنَامِ مَرَحَلَةِ الشَّبَابِ، أَخْرَجَ الْحَاكِمُ فِي «مُسْتَدْرَكِهِ»، وَقَالَ: صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ، وَصَحَّحَهُ الْعَلَّامَةُ الْأَلْبَانِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي «صَحِيحِ الْجَامِعِ»، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِرَجُلٍ وَهُوَ يَعِظُهُ: «اغْتَنِمْ خَمْسًا قَبْلَ خَمْسٍ: شَبَابَكَ قَبْلَ هَرَمِكَ، وَصِحَّتَكَ قَبْلَ سَقَمِكَ، وَغِنَاكَ قَبْلَ فَقْرِكَ، وَفَرَاغَكَ قَبْلَ شُغْلِكَ، وَحَيَاتَكَ قَبْلَ مَوْتِكَ».

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: لَقَدْ بَيَّنَّ نَبِيُّنا ﷺ أَهْمِيَّةَ هَذِهِ الْمَرَحَلَةِ، وَمَا يَتَرْتَّبُ عَلَيْهَا مِنْ تَبَعَاتٍ وَمُحَاسَبَةٍ أَمَامَ

رَبِّ الْعَالَمِينَ، أَخْرَجَ التِّرْمِذِيُّ، وَحَسَنَهُ الْعَلَامَةُ الْأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُمُ اللَّهُ، عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَا تَزُولُ قَدَمُ ابْنِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ خَمْسٍ: عَنْ عُمُرِهِ فِيْمَ أَفْنَاهُ، وَعَنْ شَبَابِهِ فِيْمَ أَبْلَاهُ، وَمَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ، وَفِيْمَ أَنْفَقَهُ، وَمَاذَا عَمِلَ فِيْمَا عَلِمَ».

لَقَدْ أَوْضَحَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَكَانَةَ الْعَالِيَةَ لِلشَّبَابِ الَّذِينَ نَشُوا فِي عِبَادَةِ اللَّهِ، أَخْرَجَ الشَّيْخَانِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ: الْإِمَامُ الْعَادِلُ، وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ رَبِّهِ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي الْمَسَاجِدِ، وَرَجُلَانِ تَحَابَّا فِي اللَّهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ، وَرَجُلٌ طَلَبَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ فَقَالَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ، أَخْفَى حَتَّى لَا تَعْلَمَ شِمَالَهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ».

عِبَادَةِ اللَّهِ: لَقَدْ ثَبَّتَتْ فَرَضِيَّةُ صِيَامِ رَمَضَانَ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَالْإِجْمَاعِ، أَمَّا الْكِتَابُ فَلِقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾، وَقَوْلِهِ سُبْحَانَهُ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾﴾ وَقَدْ بَيَّنَّتِ السُّنَّةُ أَنَّهُ رُكْنٌ مِّنْ أَرْكَانِ الْإِسْلَامِ الْخَمْسَةِ، أَخْرَجَ الشَّيْخَانِ وَغَيْرُهُمَا عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسَةٍ: عَلَى أَنْ يُوحَدَ اللَّهُ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَصِيَامِ رَمَضَانَ، وَالْحَجِّ». وَقَدْ نَقَلَ الْإِجْمَاعُ عَلَى وُجُوبِهِ جَمَاعَةً مِّنْ أَهْلِ الْعِلْمِ مِنْهُمْ: أَبُو عُمَرَ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ فِي «التَّمْهِيدِ»، وَالنَّوَوِيُّ فِي «الْمَجْمُوعِ»، وَغَيْرُهُمَا.

وَمِنَ الْحِكْمَةِ فِي مَشْرُوعِيَّةِ الصَّوْمِ: تَحْصِيلُ خَيْرِ زَادٍ، وَالَّذِي هُوَ وَصِيَّةُ اللَّهِ لِلْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ،

وَالْأَنْبِيَاءَ وَالْمُرْسَلِينَ، وَهُوَ التَّقْوَى، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ
كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾.

إِنَّ صَوْمَ رَمَضَانَ وَاجِبٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ بَالِغٍ عَاقِلٍ صَحِيحٍ مُقِيمٍ خَالٍ مِنَ الْمَوَانِعِ.

فَالصَّغِيرُ الَّذِي لَمْ يَبْلُغْ، وَالْمَجْنُونُ لَا يَجِبُ عَلَيْهِمَا الصَّوْمُ؛ لِمَا رَوَاهُ أَهْلُ السُّنَنِ، وَصَحَّحَهُ الْعَلَامَةُ
الْأَلْبَانِيُّ، عَنْ عَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «رُفِعَ الْقَلَمُ عَنْ ثَلَاثَةٍ: عَنِ النَّائِمِ حَتَّى يَسْتَيْقِظَ، وَعَنِ
الصَّبِيِّ حَتَّى يَحْتَلِمَ، وَعَنِ الْمَجْنُونِ حَتَّى يَعْقِلَ».

وَمَعَ ذَلِكَ يُدْرَبُ عَلَيْهِ الصَّبِيُّ؛ لِمَا رَوَاهُ الشَّيْخَانِ عَنِ الرَّبِيعِ بِنْتِ مُعَوِّذٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: أَرْسَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غَدَاةَ عَاشُورَاءَ إِلَى قُرَى الْأَنْصَارِ: «مَنْ أَصْبَحَ مُفْطِرًا فَلَيْتَمَّ بَقِيَّةَ يَوْمِهِ، وَمَنْ أَصْبَحَ صَائِمًا فَلْيَصُمْ».
قَالَتْ: فَكُنَّا نَصُومُهُ بَعْدُ، وَنُصُومُ صِبْيَانِنَا، وَنَجْعَلُ لَهُمُ اللَّعْبَةَ مِنَ الْعِهْنِ، فَإِذَا بَكَى أَحَدُهُمْ عَلَى
الطَّعَامِ أَعْطَيْنَاهُ ذَلِكَ حَتَّى يَكُونَ عِنْدَ الْإِفْطَارِ.

وَيَجُوزُ لِلْمَرِيضِ الَّذِي يَشُقُّ عَلَيْهِ الصَّوْمُ وَكَذَا الْمُسَافِرِ أَنْ يُفْطِرَ؛ لِقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿فَمَنْ كَانَ
مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾.

وَأَمَّا كَبِيرُ السِّنِّ الَّذِي لَا يَسْتَطِيعُ الصِّيَامَ فَإِنَّهُ يُفْطِرُ وَيُطْعِمُ؛ لِأَنَّ أَنْسَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بَعْدَمَا كَبِرَ أَفْطَرَ عَامًا أَوْ
عَامَيْنِ.

أَمَّا الْحَامِلُ وَالْمُرْضِعُ إِذَا لَمْ تَسْتَطِيعَا الصِّيَامَ فَإِنَّهُمَا تُفْطِرَانِ وَتَقْضِيَانِ.

وَأَمَّا الْحَائِضُ وَالنُّفْسَاءُ، فَإِنَّهُمَا تُفْطِرَانِ وَتَقْضِيَانِ.